الشعارات والرنوك الإسلامية على العمائر والفنون الأوروبية

(ق 10-15م/4-9هـ)

دراسة اثارية فنية

د .حسام أحمد مختار العبادي

استاذ مساعد بكل من قسم التاريخ والآثار بكلية آداب الإسكندرية

وقسم الآثار بكلية السياحة والآثار جامعة الملك سعود

ادى التواجد الإسلامي في أوروبا بكل من صقلية والأندلس إلى ان اصبحت كل منهما مركزاً حضاريا هاما له إشعاعاته وتأثيراته في مجالات عدة منها العمارة والفنون .فظهرت تلك المؤثرات في صور مختلفة من استخدام لعناصر معمارية وزخرفية أو إعادة توظيف منشآت معمارية إسلامية بما يتناسب مع طبيعة البناء والنظام السياسي الجديد والمعتقد الديني بعد سقوط كل من صقلية والأندلس.

ولم يكن التواجد الإسلامي بأوروبا هو المنفذ الوحيد لتلك المؤثرات الحضارية وانما كان هناك الاحتكاك الحضاري الناتج عن العلاقات التجارية ما بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي وما نتج عنه من تواصل سواء في صور توافق مجتمعي ومعاهدات تجارية أو منازعات تتطلب تحكيم قوى ورموز سياسية من الطرفين على وجه السواء ,كذلك فإن الارتحال عبر الأراضي الإسلامية فتح المجال للأوروبيين لاستكشاف الموارد الثقافية والمادية لبلاد الإسلام وهو المكون الرئيسي للحضارة الإسلامية مما كان له عظيم الأثر في التأثير على فنهم وعمارتهم .

وتلك العلاقات التجارية كان لها دور في الحملات الصليبية التي شنتها بعض الممالك الأوروبية على بلاد الشام ومصر ,لأهداف ظاهرها ديني وباطنها اقتصادي وسياسي ,والتي كانت بدورها تشكل مؤثرا هاما للحضارة الإسلامية في الفنون والعمارة الأوروبية لما تميزت به تلك الحملات من عنصر الاستقرار بإقامة ممالك صليبية على الساحل الشامي وما توافر معه التعايش والاحتكاك ما بين الوافدين من الصليبين والمسلمين.

وفي إطار تلك المحاور السابقة أصبحت أوروبا وخاصة قبل القرن 15م/9هـ مستقبلة لكل ما يأتي به الشرق والحضارة الإسلامية ,فتكون كالبوتقة تنصهر فيها تلك التيارات الحضارية ولاسيما في العمارة والفنون وتظهرها في ثوب جديد تشاهد فيه تلك المؤثرات المعمارية والفنية الإسلامية.

تكمن هذه الدراسة في إظهار تأثير فن إسلامي يتعدى بثرائه وثقله الفني والحضاري كونه مجرد مؤثر فني في هيئة شعارات ورموز مستخدمة إلى شكل مرئي يفتخر به الآخر ليعبر بصور ورموز إسلامية عن هويته الأوروبية ,معتبرا ما يتخذه من شعارات كتابية , ورنوك ,ورايات وأعلام ,ورموز ,هو ميراث له وجزء من تكوينه يوظفه بشكل محور قاصدا سلخه عن اصله ,أو يتعامل معه بنفس مفاهيمه المستخدمة في العالم الإسلامي ليبلغ رسالة أو لتخليد ذكره أو مناسبة .

ومن هذا المنطلق سيكون موضوع الدراسة هو تتبع تلك الشعارات الإسلامية وصور وأشكال تواجدها ومؤثراتها في بعض الشعارات الأوروبية وتطورها في ظل التغير الذي حدث لمكانة المسلمين في الأندلس وصقلية وضعفهم وأجلائهم من تلك البلاد.

لم يكن تواجد الشعارات الإسلامية والرنوك على العمائر والفنون الأوروبية تواجدا مباشراً، بل كان تدريجيا مقترنا بما يبرره من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية من منطلق العوامل السابق ذكرها.

أولا :الشعارات الكتابية:

ونرى اول تلك الشعارات في دينار محفوظ بالمتحف البريطاني بلندن)لوحة 1 (ضربه حيث استبدل الدينار الذي ضربه في أول أيام ملكه (م796-757)Offa Rex الملك اوفا ركس والذي كان نقشه الصليب من جهة وصورة الملك من جهة أخرى ؛ وصك بدلاً منه آخر وهو الدينار الذي كان نقشه من عبارات التوحيد الإسلامية ، وهذا الدينار يعتبر من أهم وأندر العملات في تاريخ أوروبا الوسيط ، فبالرغم من الأخطاء الكثيرة التي تثبت جهل ضارب الدينار باللغة العربية ، فإننا نقرأ في ظهره كتابة باللغة العربية :وهي)لا اله إلا الله وحده لا شريك له (وفي الهامش كتبت عبارة)محمد رسول الله (، ثم اشتق من الآية الكريمة وكتب)أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (أما في مركز الوجه فنجد كتابة عربية أخرى وهي)محمد رسول الله (وفي المنتصف اسم الملك)أوفا (باللغة الإنجليزية ، أما في الهامش هذا الوجه فقد كتب باللغة العربية) :بسم الله .ضرب هذا الدينار سبع وخمسين ومائة(، وسنة 157 هجرية الواردة في قطعة النقد تصادف عام 774م)لوحه 2(.

إلى اتخاذ تللك العملة بما عليها من كتابة Offa Rex أما عن الأسباب التي دفعت اوفا عربية والتي تعتبر من وجهة نظر الغرب عبارة عن شعارات إسلامية ,هو عملية الإصلاح الاقتصادي التي كان يجريها الملك استنادا على علاقاته التجارية مع الخلافة العباسية في عهد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور)136-158هـ/749-769م (وفي ظل الصراع السياسي مع بابا روما ادريان الأول 772 – 795م وشارلمان ملك فرنسا .فكان سكه لهذه العملة المشابهة للعملة العباسية ما هو إلا تدعيم لعلاقاته التجارية مع الخلافة العباسية من جهة ولإعطاء الثقة اثناء عملية الدفع النقدي في العمليات التجارية ما بين الخلافة العباسية ومملكته , من جهة أخرى ,ولقد كان لهذا الأمر مردوده لدى بعض من الباحثين في تبرير ذلك بان اوفا قد اسلم سرا .

ويوجد مثال اخر يوضح زيادة التأثير بالشعارات الإسلامية في العملة التي أصدرها الملوك النورمان التي كانت متأثرة بالعملة الفاطمية 909-1171م/296 -567هـ في شكلها وقيمتها، واشتملت على كتابات عربية ولاتينية ويونانية حملت رموزًا إسلامية ومسيحية)لوحة 3).

وفي هذا الصدد يذكر الرحالة ابن جبير عند زيارته لصقلية في عهد الملك وليم الثاني أن القوانين والقرارات التي كان يصدرها البلاط النورماندي باللغات الثلاث :العربية واللاتينية واليونانية ، كانت تحمل علامة)توقيع (الملك النورماندي بالعربية، فمثلاً كانت علامة روجر الثاني وابنه وليام الأول »الحمد لله شكرًا لأنعمه ,«وعلامة وليام الثاني »الحمد لله حق حمده « ولعل هذا التطور في استخدام الشعارات الإسلامية إنما هو ناتج للتواجد الإسلامي وتأثير , الحضارة الإسلامية قبل سقوط صقلية واستمرارية التأثير الحضاري بعد سقوطها في شكل تعاملات مع الصناع والعلماء والتجار المسلمين ,وهو ما يفسر لنا ثلاثية اللغة في التعاملات التجارية ,وايضا يوضح الوضع السياسي لصقلية من تحالفات سياسية مع العدوة الإسلامية في ظل صراع صليبي على ممالك الشام .وفي هذا الصدد قال ابن جبير، »وشأن ملكهم هذا عجيب

في حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المجابيب، وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن «إليهم في أحواله والمهم من أشغاله حتى أن الناظر في مطبخه رجلٌ من المسلمين.

كما أورد لنا ابن جبير أن)الأمير الإسباني الأراكوني (ملك أرجون سانجو الأول كان يصر بأن يوقع اسمه بحروف عربية,وفي حقيقة الأمر لم (م 1094-1064) Sancho I يكن هذا التوقيع قاصرا على سانشو الأول فقط بل كان لخلفائه من ملوك ارجون أيضا الذين اتخذوا لأنفسهم علامات على هيئة التوقيع تكون رمزاً لهم وأقرن كل من سانشو الأول علاماتهم بتوقيع باللغة العربية)لوحة 4 (كدلالة (م1104-1094 Pedro I) وبدرو الأول على إجادتهم للغة العربية .

ومثال آخر يدل على استخدام صريح للشعارات الإسلامية كدلالة على انتصار الملك روجرز الثاني (1101- 1154م)وانتزاعه صقلية من ايدي المسلمين ,يظهر لنا في عباءة تتويجه في ظل علاقات متشابكة ظاهرها الاختلاف السياسي وباطنها التأثر الفني والتبادل التجاري بما يفيد مصلحة الطرفين الاقتصادية.

RogerII والعباءة محفوظة بمتحف كنوز الدولة بفينا وهي التي ارتداها روجرز الثاني في حفل تتويجه ملكًا في بالرمو عام 1133م، وقد صنعها نساج عربي اسمه عبدالله، وهي من الحرير الثقيل القرمزي رسمت عليها شجرة نخيل تحمل ثمارًا ذهبية، وعلى كل من جانبيها صورة أسد ينقض بمخلبيه على جملً والرسوم مطرزة بالذهب .وقد كتب النساج باللغة العربية على حافة العباءة عبارات تتضمن الدعاء للملك روجر الثاني أن يكون محبوبًا ويعيش في عزٍ ومجد وأن تتحقق آماله وتغمره السعادة طوال أيام حياته .كما كتب مكان وزمان صنع العباءة على النحو التالي بالخط الكوفي " :مما عمل بالخزانة الملكية - المعمورة بالسعد والإجلال والكمال والطول والأفضال والقبول وبلوغ الأماني والآمال وطيب الأيام والليالي بلا زوال ولا انتقال بالعز والرعاية والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية بمدينة (صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسماية ("لوحة 5

ويرمز الجمل هنا للمسلمين وهو رمز اعتاد الغرب استخدامه للدلالة الجغرافية المرتبطة بالبيئة التي نشأت فيها الدولة الإسلامية وهي شبه الجزيرة العربية ,فسفينة الصحراء كان ركاب الملوك العظام في رحلتهم لتسليم هداياهم للسيد المسيح عليه السلام وهو ايضا)لوحة 6 ,(elmapa mundi الرمز الذي يستخدم لبلاد العرب في خرائط العالم القديمة والعباءة تعبر بشكل رمزي عن انتصار النورمانديين "الأسد " وهزيمتهم للعرب "الجمل ," والصناعة بيد عربية والدعاء بعبارات بالخط الكوفي ,والنصر ممثلا بالرمز والدعاء مقروء لمن يجيد اللغة العربية .

مثال آخر للشعارات الأوروبية ذات المعنى الرمزي للانتصار على المسلمين ما نشاهده أعلى بوابة قصر اشبيلية من اسد يدهس بأقدامه رايات زرقاء وخضراء تمثل بني الأحمر كدلالة رمزية للانتصار علي ملوك بني نصر وهذا الرأي استنادا على الأحداث التاريخية وما ورد لنا من وصف لرايات بني نصر ,وفي ذات القصر نجد قاعاته المختلفة مزينة بالخط العربي.

والجدير بالذكر أن بهو السفراء يعتبر أحد أهم الأفنية وأبدعها بقصر إشبيلية وهو يتسم بالاتساع والفخامة، و تظلله قبة عالية جداً معقودة على أعمدة ومقرنصات عربية مزخرفة .

وتبدو جدرانها مكسوة بالقيشاني الفخم وتتخلله كتابة عربية .وفي دائرة الجدران الوسطى نقشت العبارة العربية المكررة »الغبطة المتصلة «في الدائرة كلها .لهذا الطابق يبدو الطابع الأندلسي الأصيل قوياً، في أفنيته وأبهائه أبوابا عدة كبيرة وصغيرة أندلسية الأصل تزينها كتابات عربية.

وتتخلل زخارف القصر كثير من العبارات والتحيات والأدعية الإسلامية، وبعض الآيات القرآنية .وفي قاعة السفراء نقشت عبارة »الملك لله «يميناً ويساراً)لوحة 7 (وعلى مصاريع الأبواب، وفي القسم العلوي من هذه الأبواب توجد كتابة مهمة منقوشة في لوحة زرقاء نصها» :أمر مولانا المعظم المرفع، ملك قشتالة وليون، أدام الله سعده وهنأ أيامه، بعمل هذه الأبواب الجديدة لهذه القبة السعيدة .«وتُقرأ أيضاً عبارة» :ولا غالب إلا الله«، التي كانت شعار بني نصر ملوك غرناطة، على هذه اللوحة ذاتها منقوشة ثماني مرات يميناً ويساراً بخط كوفي جميل وباللونين الأزرق والأبيض)لوحة 8 .(وفي قاعة السفراء هذه توجد العبارة الآتية منقوشة بالخط الكوفي الجميل عز لمولانا، أيده الله ونصره بضر .« ويرى في العبارات المزخرفة لباب صالة نصف البرتقالة أختتامها بتوقيع المعلم سيف الشرفي وصنعها المعلمون الطليطيون وذلك بتاريخ الف واربع مائة واربع سنين لتاريخ الصفر ووافق من تاريخ العرب سنة سبع وستين وسبعمائة كمول البرج بحمد الله ما يدل على أن هذا القصر قام بإنشائه معلمون وصناع من المدجنين من سكان طليطلة (لوحة 9 .(وعلى الحزام الخارجي لفناء العذارى نقشت عبارة »الحمد لله على نعمه .« وفي البهو الأيمن المسمى جناح الملوك الأندلسيين نقش في جهة القبلة بيت الشعر الآتي:

يا أيها المجلس الجديد يأتيك الطالع السعيد

ونقرا في أفاريز هذا البهو وفي مواضع مختلفة أخرى عبارات »المنة لله...العظمة لله...التوفاق نعم الرفاق «وعبارة »عز لمولانا السلطان .«...وفي البهو الخارجي لهذا الجناح، على قوسه الأعلى نقشت هذه العبارة مكررة »يا ثقتي، يا أملي، أنت الرجاء، أنت المولى، اختم بخير العمل ."كشعار يتم كتابته عند انهاء الأعمال المختلفة لدى صناع سلاطين بني نصر والتي كان لها تواجد في كتاباتهم ,وكذلك على جدران قصورهم كما نقشت على جدران الطابق الأول من القصر العبارة المكررة »النعمة الشاملة .« ونقشت في الحزام الخشبي الأوسط العبارات مكررة »اليمن والسلامة، العزة والكرامة، السعد الدائم .«وفي الساحة الكبرى نقشت عند المدخل عبارة »الحمد لله على نعمه«، كما نقشت العبارات الآتية مكررة »عز لمولانا، الملك لله .اليمن والإقبال، ولا غالب إلا الله(«لوحة 10 .(التي تفيد الدعاء للملك القشتالي بدرو القاسي على شاكلة ما نشاهده في قصور الحمراء وفي ذات الوقت شعارا لبني الأحمر ,والجدير بالذكر ان هذا القصر قد تم بناؤه وزخرفته بمعرفة صناع وبنائين كلفوا من قبل السلطان محمد الخامس سلطان غرناطة الذي كان حليف بدرو القاسي ,والذي بفضل دعم بدرو ضد زوج شقيقته أبو سعيد البرميخو .أثناء الانقلاب الثالث الذي حدث في سنة 763 هـ ، فأفضى فيه الأمر إلى عودة الغني بالله إلى عرشه ، وقتل البرميخو على يد ملك قشتالة بدور الأول الملقب بالقاسي .

إن هذا المثال الأندلسي وما سبقه يعبران عن كيفية اللجوء للرمز من قبل الملوك للتعبير عن ازدواجية وضع سياسي يتميز بروابط دبلوماسية وتأثيرات حضارية متبادلة ومكاسب سياسية وعسكرية تحققت للطرف الأوروبي.

إلا أن هذه الازدواجية قد تلاشت في ظل ظروف سياسية مغايرة تتسم بالمواجهة العسكرية بل والغلبة لتحالف الملكين الكاثوليكين فرناندو وايزابيل ملكا قشتالة وأرجون بسقوط

غرناطة وتسليم مفاتيح المدينة ,وما تبع سقوط غرناطة من اضطهاد ديني ممثل في محاكم التفتيش لغير المسيحين ولقد كان لهذا اثره في استخدام الشعارات الإسلامية وتوظيفها .

: ثانيا الرنوك

ولم يكن تأثير الرنوك الإسلامية على الفنون الأوروبية محصورا في استخدام الرمزية والتأثير الفني فحسب بل نجده بهويته الإسلامية الكاملة ومكوناته من اشكال والوان معبرا عن اصحابه في ظل سرد ادبي كما هو وارد في مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم (Fr 22495.) فرسان صلاح الدين وما يحملوه من v 229 fol والذي توضح أحدى لوحاته رسوم على دروعهم)لوحة 11 (كشعارات نرجح بأنها رنوك قوامها رسم لأسد ونجوم وأهلة وما يشبه النسر بشكل محور

Fleur de ومن الرنوك الإسلامية التي تم تداولها في أوروبا زهرة اللوتس أو الفرنسية ونجدها على بيمارستان نور زنكي الذي شيده بدمشق سنة549هـ/1154م,كما وجدت Lis كرنك في باطن المحراب الجصي بمدرسة الناصر محمد بشارع المعز 703هـ/1303م ,ولقد تأثرت بها بعض الأسرات الحاكمة بمدينة فلورنس فاتخذته شعارا لها تتوارثه الأجيال وكان التي ضربت "John "يضرب على تحفهم الفنية ونقودهم مثل العملة الذهبية للملك جون بفلورنس 1332م ,وظهرت على صحن بمتحف الجمعية الإسبانية الأمريكية بنيويورك خاص كذلك بمتحف الأشموليان بمدينة أكسفورد, Lorenzo Benvenuti بالأسرة لورنزو بنفنوتي بإنجلترا صحن من الخزف المرسوم بالبريق المعدني وفي وسطه رنك اللوتس)لوحة 12 (وهي .ترجع إلى النصف الثاني من القرن 9هـ/15 م وتنسب إلى مدينة البندقية أو فينسيا

كذلك من ضمن ما ورد في الشعارات والرنوك الأوروبية النسر المزدوج الرأس وهو من الرنوك التي أتخذها الحاكم الأرتقي ناصر الدين محمود الذي حكم ديار بكر في الفترة هـ/ 1201- 1223م كما ورثه سلطان قونية السلجوقي علاء الدين كيقباد الذي 619 -597 حكم فيما بين 616-634هـ/1219-1237م ,ونسر الناصر محمد بن قلاوون وليس نسر صلاح الدين الأيوبي ولقد قام الدكتور/ أحمد عبدالرازق بدراسة مفيدة مستفيضه ضمن كتابه الرنوك الإسلامية، عن استخدام النسر كأحد أنواع الرنوك البسيطة غير المركبة، وانتهى إلى أن النسر المثبت قرب باب السر بقلعة صلاح الدين بالقاهرة)لوحة13 (كان رنكاً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي اتخذ النسر شعارا له وضربه على مسكوكاته ومنها الفلوس النحاسية .كما نقش على العديد من التحف المعدنية في عصره

وفي تأثير مختلف نوعيا على الرنوك الرسمية للمدن الأوروبية، نجد رنك مدينة قرطبة منذ عام 1241م,بعد سقوطها على يد فرناندو الثالث)القديس (عام 1236م والذي تم تجديد اعتماده في عام 1983 من قبل مجلس المدينة ,ولا يوجد سوى اربع اختام تحمل هذا الرنك . وترجع إلى ق14م/8هـ

وهذا الرنك عبارة عن نقش للجامع والقنطرة وناعورة ابي العافية ,وهي منشآت إسلامية ,إذ يعتبر الجامع الكبير من أهم معالم قرطبة وآثارها الباقية إلى اليوم وهو يُسمى وتنطق) :لاميثكيتا (وهي تحريف لكلمة)مسجد(، وقد كان أشهر la Mezquitaبالأسبانية مسجد بالأندلس وقد بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل سنة 170هـ/ 786م ومن بعده ابنه هشام الأول ..وكان كل من يتولى الإمارة أو الخلافة يضيف لهذا الجامع ما يزيد في سعته وتزيينه ..

ليكون أجمل المساجد في مدينة قرطبة ،إلى أن سقطت قرطبة وحول الجامع إلى كاتدرائية ولكن ظل ينعت بالجامع من قبل أهل قرطبة حتى القرن 15م/9هـ,وفي وصف لهذا الجامع يقول الحميري صاحب الروض المعطار في خبر الأقطار :وبها)بقرطبة (الجامع المشهور أمره الشائع ذكره، من أجلِّ مساجد الدنيا كبرَ مساحة، وإحكامَ صنعة، وجمالَ هيئة، وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المروانيون فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميمًا إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف، وليس في مساجد المسلمين مثله تنميقًا وطولاً وعرضًا

أما القنطرة فقد وصفها ابن الوردي فقال :وبمدينة قرطبة القنطرة العجيبة التي فاقت قناطر الدنيا حسنًا وإتقانًا، وعدد قسيها سبعة عشرقوسًا، كل قوس منها خمسون شبرًا وبين كل قوسين خمسون شبرًا

والتي وصفها الإدريسي فقال :ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخرًا في بنائها وإتقانها، وعدد قسيها سبع عشرة قوسًا، بين القوس والقوس خمسون شبرًا، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبرًا، وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبرًا، ولها ستائر من كل جهة تستر القامة، وارتفاع القنطرة من موضع المشي إلى وجه الماء في أيام جفوف الماء وقلته ثلاثون ذراعًا، وإذا كان السيل بلغ الماء منها إلى نحو حلوقها، وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الخاشنة من الرخام، وعلى هذا السد ثلاث بيوت "أرحاء، في كل بيت منها أربعة مطاحن

:وقد جمع شعر الفقيه ابي محمد بن عطية عن قرطبة كل تلك كل المعالم حينما قال

بأربع فاقت الامصار قرطبة وهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم أكبر شيء وهو رابعها

وفي تلك الأبيات الفصل بأن ما أتخذ في رنك المدينة كشعار لها هو هويتها الإسلامية التي أقرت من قبل الاسبان منذ سقوطها إلى الان ,معتبرين انها صورة لهويتهم وجزء من ثقافتهم ,حتى وأن اختلفت العقيدة)لوحة14(

لوحة (((Velez de Malaga بيليزدى ملقا)ولقد تناولنا ,رنوك لمدن مثل بلش ملقا Caniallas de كانيس دى الزيتون ،Comares كومارس,Sedella سيديا), (15)لوحة 16(من أعمال ملقا تعبر بكل وضوح عن وضع مملكة غرناطة قبيل Aceituno سقوطها.

اتخذ للمدينة تخليدا لحادثة تعرض الملك (velez de Malaga)فالرنك الأول فرناندو لمحاولة قتل أثناء غزوه للمدينة عام 1487م/892هـ ,لولا تمكن تابعه سباستيان من ان يفتديه بحياته وقد تم إصدار مرسوم ملكي موقع من Sebastian Sanchez سانشيز الملكة ايزابيل بوصف هذا الشعار على رق لمدينة بيليز تخليد لهذه الواقعة)لوحة 17 (وليكون رنك وخاتما وشعارا في راياتها وأقدم شعار لهذه المدينة ما هو محفوظ في مبنى بلدية المدينة وكان معلقا من قبل على مدخل مبنى البلدية القديم ويرجع إلى عام1597م ووصفه للملك فرناندو على صهوة جواده في وضع قتالي مع مجموعة من فرسان المسلمين وصورة جسد تابعة سباستيان سانشيز جريحا على الأرض.

أما الرنوك الثلاثة الباقية فهي اكثر قسوة من سابقيها لما فيها من تصريح بأسر اخر ملوك بني نصر وهو ابو عبد الله ,الذي صور وهو مربوط بحبل من العنق ولقد منح هذا الرنك Diego Fernando de cordoba لمركيز مدينة قومارش ديجو فرناندو دي قرطبة لمشاركته في اسر الملك ابي عبد الله الصغير ومنح هذا الشعار للمدينة في عام 1487م تقديرا لجهوده

ثالثا :الشعارات الإسلامية في الرايات والأعلام الأوربية:

ولم يكن تأثير الشعارات والرنوك الإسلامية على الفنون الأوروبية محصورا في استخدام الرمزية والتأثير الفني فحسب بل نجده بهويته الإسلامية الكاملة ومكوناته من اشكال وألوان معبرا عن اصحابه في ومؤلفات الفونسو العاشر)الحكيم(Alfonso El Sabio ككتاب Las Cantigas اناشيد السيدة العذراء

ومثال آخر لنفس االملك كتاب الألعاب Los Libros Del Ajedrez,Dados y Tablas حيث صور جيوش بني نصر برایاتهم المختلفة الألوان وما عليها من شعارات اشبه بعبارة لا غالب إلا الله مكتوبة بالخط الكوفي على راية حمراء ورموز كالأهلة والأشكال الهندسية والملاحظ ان تلك الصور تعطينا خلفية عن اختلاف الرايات المستخدمة من حيث أحجامها وألوانها)شكل1,لوحة18(.

فمن المعروف ان الجيوش الإسلامية قد استخدمت عدة انواع من الرايات وهي "راية " وتكون للجيش كله ,وتكنى بأم الحروب وهي الأكبر حجما من "اللواء "وسمي لواء لأنه يلوى على الرمح لكبره وراية "البند "وهو علم كبير دون الراية واللواء والعلم وهو ما يعقد على الرمح ويكون طويلا في العادة ,أورده لنا المؤرخ الأندلسي محمد بن موسى الرازي في كتاب الرايات يصف فيه الرايات التي بلغ عددها نيفا وعشرين راية (هـ/864 م249) رفعها جيش موسى بن النصير عند فتح الأندلس ,وكذلك وصف أبن حيان القرطبي لأعلام ورايات وبنود كل من الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر)300-350هـ/912-961م (والحكم المستنصر بالله)350-366هـ/961-976هـ (اللذان اهتما برايات الجيوش فجاءت مصورا بها صور الأسد والنمور والثعابين وكذلك نجد اعلام بتصاوير هائلة وغريبة الأجناس كعلم العقاب الذي اخترعه الخليفة عبد الرحمن الناصر ولم يكن لأحد من قبله ,وراية "لواء الشطرنج "الذي كان على شكل المربعات مثل الشطرنج ,واربع بنود كانت مهداه من الخليفة عبدالرحمن الناصر إلى واليه على مليلية في المغرب الأقصى موسى بن أبي العافية ,والتي كان اولها مصور بعقاب مذهب له رأس من الفضة وله عينان حمراوتان ,وفي وسط جبهته فص أخضر ,وثانيها صورة أسد مزوق رأسه بالفضة وله عينان بلون الأزرق الفاتح وثالثها ابيض عليه كتابة مذهبة عرضية من ثلاث جوانب ورابعها أحمر مكتوب علية من ثلاث جهات بكتابة من الفضة وفيها سيفان وهلالان مذهبان .وروي أنه في عهد ملوك الطوائف رأى الوزير أبا الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صمادح راية خضراء فيها صنيفة بيضاء في يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

(نشرت عليك من النعيم جناحا ...خضراء صيرت الصباح وشاحا)

(تحكي بخفق قلب من عاديته ...مهما يصافح صفحها الأرواحا)

(ضمنت لك النعمى برأي ظافر ...فترقب الفأل المشير نجاحا)

وتوضح لنا تلك الصور بأن هذا التباين في انواع الرايات بجيش بني نصر والتأثير الذي تأثرت به راياتهم برايات من سبقوهم من الأمويين وملوك الطوائف والمرابطين والموحدين مع الاحتفاظ برايتهم الحمراء التي هي رمز لهم .

وقد وردت إشارات إلى ذلك في شعر عبد الله بن زمرك شاعر الحمراء لوصف راية بني نصر في قوله:

وترى القباب الحمر ترفع للندى

فترى العمائم تحتها كالأنجم

وقوله :

خفقت به أعلامك الحمر التي

بخفوقها النصر العزيز موكل

وبعد سقوط غرناطة 1492م /هـ نجد أن ألوان أعلام غرناطة وشعاراتها المتواجدة عليها قد استخدمت على أعلام مملكة قشتالة وأرجون وشعاراتهم ورنوكهم ,أي أن من ضمن المؤثرات الإسلامية في الشعارات الأوروبية إن ألوان الرايات والأشكال كالمفتاح والهلال والكف ورقعة الشطرنج والنسر وزهرة الزنبق والتي وردت على رايات المسلمين ورنوكهم وفي عمائرهم وفنونهم وانتقلت إلى رايات ورنوك وعمائر وفنون الأوروبيين)لوحة19 (.

رابعا :رموز إسلامية وردت على الشعارات والرنوك الأوروبية :

الهلال والنجوم من الرموز المتداولة من قبل المسلمين وهو من العلاقات الدالة على شخصية المسلم أينما وجد وأينما ذهب، فهذا الرمز لا يتغير لا بالمكان، ولا بالزمان، أول ما ظهر لنا في أعلام المسلمين كان في راية رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة العقاب ,كان مرسوما عليها هلال ابيض اللون فيذكر ابن حجر العسقلاني عند ترجمته لسعد بن مالك الأزدي أنه وفد على النبي وعقد له راية على قومه سوداء فيها هلال أبيض ,كما استخدمت الأهلة والنجوم في زخارف فسيفساء قبة الصخرة وعلى الدراهم والفلوس الأموية ,وكذلك في العصر العباسي على دراهم الحجاج بن يوسف ,كما زخرف بها على مواد فنية مختلفة ترجع إلى العصر الفاطمي ,أما في عمائر الدولة الأيوبية فنرى فيها ميل لنقش أشكال الشمس والنجوم كما في زخارف مسجد ظفار ، واستمر استخدام الهلال كرمز للدولة العثمانية مدة 4 قرون منذ القرن 13م/7هـ حيث أضافت إلى وسطه النجمة الخماسية ثم اتخذ هذا الرمز شعارا فتمركز على رأس القباب ومآذنها..

ويعتبر الهلال تقويما لحياة المسلمين فهم يحددون أوقاتهم بحسب الشهر القمري، وقد أخذ هذا التقويم الخلف عن السلف منذ الهجرة النبوية وحتى يومنا هذا، وله تقديره لأنه يرمز إلى شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن، ولأن رؤية الهلال تعني بدء شهر الصوم وهو شهر التوبة والغفران للمسلم المؤمن، وقد ورد ذكر الهلال فى القرآن بقوله تعالى بسورة البقرة ويسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج" "فالهلال وجمعه الأهلة وهي "189

محددات لأوقات الناس من عدة المطلقات والأرامل ومدد السماح قبل سداد الدين ومدة الرضاعة والحمل ومحددات للحج وهو مواقيت زيارة البيت الحرام بمكة وجاء في الحديث الشريف القول المأثور »صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته«، وكان العرب يستخدمونه في تقويماتهم السنوية قبل الإسلام، حيث عرفوا بذكائهم الفطري ودراساتهم لعلم الفلك وتوارثه من حضارات سابقة تعاقبت على بلادهم كالبابليين والآشوريين والآراميين والفرس والإغريق الذين نهلوا من علمهم وطوروه بعد الإسلام عبر علمائهم وفلاسفته)لوحة 20(.

ومن الشعارات أيضا المفتاح الذي يستخدم في الشعارات الأوروبية وخاصة القشتالية وهو تأثير من أبواب قصور الحمراء بغرناطة , حيث كان منحوتاً فوق العديد من الأبواب كباب الشريعة وباب النبيذ ,وأبواب قصور جنة العريف ,وهناك تفسيرات مختلفة لوضعية المفتاح فوق أبواب مدينة غرناطة منها ما يفسره على انه رمز لغرناطة نفسها ولقصور الحمراء فقصور جنة العريف تقع على شكل المفتاح في وسط التخطيط المعماري لقصور الحمراء (شكل 2 (خصوصا وان المفتاح كان ضمن الشعارات التي على رايات بني الاحمر)لوحة 21(.

وكمردود لذلك نجد الفونسو الحادي عشر)1311-1350م, (بعد الانتصار على السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة , أمر أن يوضع على منشآته من قصور وحصون , خاصة ليصبح المفتاح هنا دلالة على هذا الانتصار فقد سلب يوسف الأول رمز بلاده واستخدمه لتخليد انتصاره بعيدا عن المدلول الديني للمفتاح في الديانة المسيحية)لوحة 22 , (ليصبح المفتاح هنا دلالة على هذا الانتصار فقد سلب يوسف الأول رمز بلاده واستخدمه لتخليد انتصاره)شكل 3. (وحينما سجل انتصار فرناندو وإيزابيل ملكا قشتالة وأرجون على ابي عبد الله الصغير أخر سلاطين بنو الأحمر صور الأخير وهو يسلم مفاتيح غرناطة لهما ,فالمفتاح هنا رمز للمدينة.

من الرموز التي تأثرت بها الشعارات الأوروبية ما أصطلح على تسميته "يد فاطمة ," وهي كف لخمسة أصابع مبسوطة نشاهدها على ابواب قصور الحمراء كباب الشريعة أحد أبواب قصور الحمراء ,وعلى الجرار الخزفية ذات البريق المعدني واستخدام الكف كنقش على العمائر ليس بابتكار تناوله الفن الأندلسي دون غيره من الفنون السابقة ,نظن أنه بهدف الحماية من الحسد وإن كان رسم اليد له مفاهيم متعددة عبر العصور وباختلاف الثقافات منذ عصور ما قبل التاريخ حيث كان الإنسان الأول يزخرف كهوفه بكفوف اليد كوسيلة يستعين بها المسافر أو المقيم للوقاية من أي مكروه سواء من إنسان أو حيوان أو حتى من قوى خفية غير مرئية مثل الجان ,لذلك كان استخدام هذا الرمز لضمان واستمرارية حمايتهم .

وقد تم التأثر بهذا الرمز حيث اتخذ كعلامة مائية لصانعي الورق القشتالي ,لتمييز الورق المصنوع في طواحينهم عن غيرهم ,هذا بالإضافة أنه استخدم كموضوع زخرفي على صحون خزفية من بلنسية

* ومما سبق يتضح لنا أن الشعارات الأوربية خضعت لمؤثرات حضارية مختلفة من فنية واقتصادية وسياسية وقبل كل شيء ثقافية ,فهي تعكس لنا الاصلاح الاقتصادي الذي قام به بعض ملوك أوروبا كأوفا ركس أو كل من الملوك النورمنديين أمثال روجرز الثاني ووليم الأول و وليم الثاني، باستخدام شعارات إسلامية على عملاتهم لتتشابه مع عملات الخلافة العباسية والفاطمية ولإعطائها مصداقية كاملة واكبر قدر من الثقة أثناء التعامل النقدي وكذلك كمناورة سياسية كما فعل الملك أوفا حينما أرسل عملاته ذات الكتابة العربية للبابا أدريان الأول

كرد لتحالفه مع أعدائه ,كما أن الشعارات المستخدمة على العملة النورمندية الصقلية هي تكملة لنظام أداري قام على أسس موضوعة من قبل الخلافة الفاطمية وكتأثيرات متوارثة ,استمرت عليها صقلية ولكن نظرا لموقعها الجغرافي ووضعها السياسي نجد تلك الشعارات تقاسمت تواجدها مع كتابات باللغة اليونانية واللاتينية فهي دولة تقوم على التعاملات التجارية مع أطراف متعادية تلتزم معهم بعهود ومواثيق تؤدي بعملة أو تمهر بأختام تعبر عن هذا التوازن السياسي واضعين في الاعتبار النسيج المجتمعي لصقلية ذي الأصول الإسلامية ,ووضعية اللغة العربية في تلك الحقبة التاريخية كلغة ثقافية أولى فرضت نفسها في التعامل من منطلق أنتشارها القائم على قوة عسكرية ومساحة جغرافية تشمل العالم الإسلامي بمختلف أمصاره.

* من خلال الطرح السابق يتضح لنا أن هناك مفهوم للشعارات لدى الغرب يختلف في توظيفه عن العالم الإسلامي كما أن الكتابة العربية من وجهة النظر الأوروبية قد تكون شعارا في حالة توظيفها على العملات الرسمية للدولة التي تعبر عن هويتها ضمنيا مع شعارات أخرى.

* تم استخدام الشعارات الإسلامية كعلامة للتوقيع باللغة العربية من قبل بعض من مللوك ارجون مثل الملك بدرو الأول بالأندلس ,كدلالة على مهارة شخصية أو إجادة للغة العربية وكرسالة تبعيه لقوة سياسية ممثلة بالخلافة الأموية بقرطبة كانت في أوج مجدها ,ومصدرا للإشعاع الحضاري في أوروبا كلها .

* اللجوء للرمز لتخليد انتصارات ملوك أوروبا على المسلمين مثل ما نراه في عباءة الملك روجرز الثاني بدلا من التصريح لما يتقيد به الملك من مصالح مشتركة مع القوى الإسلامية في تلك الفترة وكذلك كتعبير منه وتقدير شخصي للحضارة الإسلامية ,واتباع مسلمين يدينون بالولاء للملك روجرز ,فالعباءة نفسها مكتوب عليها باللغة العربية وتدعوا له بالعز والرعاية والسعد كنوع من صور الازدواجية ,التي يتمتع به وضع الدولة النورمندية في صقلية .والتطور من الرمزية إلى التصريح في الشعارات الأوروبية نجده على سبيل المثال في شعارات مدن ملقا ابان سقوط غرناطة أخر معاقل بني نصر 1492م، تخليدا لأحداث تمثل قصص انتصاراتهم وإنجازاتهم بل وتخليدا لذكرى من ضحوا من أجل تحقيق سقوط دولة بني نصر بغرناطة ,كرنك مدينة بلش ملقا الذي يصور تضحية احد اتباع الملك فرناندو بروحة لحمايته وقتال فرناندو لحامية من فرسان غرناطة ,ورنك مركيز مدينة قمارش الذي يعبر عن أسر الملك ابي عبد الله الصغير .

* كذلك استخدام رموز كانت مستعملة في شعارات المسلمين في عمائر وفنون وأعلام و رونوك كل من النورمنديين وملوك كل من قشتالة وليون وأرجون أما من دافع التقليد الفني أو كدلالة على النصر وسلب ملوك بني الأحمر أحدى الرموز التي كانت مسجلة على راياتهم ومنشآتهم المعمارية كالمفتاح الذي نجده منقوشا فوق ابواب قصور الحمراء .أو وضع شعارات كتابية مثل لا غالب إلا الله ,من منطلق التقليد الفني كما هو موجود في قصر بدرو القاسي بإشبيلية ولا سيما حينما يكون منفذا بأيدي مسلمة وموقع عليها من قبل صانعيها.

* استخدام الشعارات الإسلامية كعلامة تجارية ولم تكن قاصرة فقط في شعارات المدن ورنوكها ,مثل شعار الكف المستخدم كعلامة مائية في الورق القشتالي.

ظهر استخدام الرموز الإسلامية في الشعارات الأوروبية مثل المفتاح ويد فاطمة *
مدى التأثر بالمفهوم الثقافي لتلك الرموز الإسلامية بالرغم من اختلاف دلالتها الدينية في
المسيحية .